مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

شعر عبدالمجيد فرغلى : دراسة أسلوبيّة لُغويَّة

نهاد محمد المنتصر رمضان

مقيدة ومسجلة بالدراسات العليا في قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2023.236374.1759

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٨) يناير ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكترونى: https://qarts.journals.ekb.eg

شعر عبدالمجيد فرغلى : دراسة أُسلوبيّة لُغويَّة

الملخص:

تناولت فى بحثى هذا : تعريفًا للأُسلوبية من خلال البحث فى القواميس والمعاجم، واتجاهاتها في تراث العرب القديم والحديث ، ورواد كل اتجاه ، ثم القضايا التى تتعلّق بالأُسلوبيّة عند الغرب ، والدراسات العربية التى سارت على هذا المفهوم ، وختمته ببعض النتائج ، مستخدما الكثير من المصادر والمراجع المتنوعة في ثنايا البحث.

الكلمات المفتاحيّة : مفهوم الأُسلوبيّة عند علماء اللغة العربية القدماء والمتأخرين .

الأُسلوبيّة معناها ، وأهدافها

الأسلوبية : فرع من فروع اللغويات التطبيقية، وهو دراسة النصوص من جميع الأنواع واللغة المنطوقة وتفسيرها ولذلك كثرت الدراسات التي سجلت حضورًا واعيًا في الأسلوبية، وتوالت المصنفات فيها وأصبحت تحتل مكانة مهمة في عالم الأدب, وصارت موضوعاتها الأسلوبية تستهوي عددًا كبيرًا من الباحثين الذين تأثروا بها، وراحوا يجدون في المحاولات التي تبذل في اكتشاف حقيقة الإبداع الأدبي من جهة، وحقيقة المنهجية العلمية للتحليل الأسلوبي للأدب من جهة ثانية ، فكان من الضروري دراسة الأسلوبية وماهياتها وتاريخها ومناهجها.

تعريف الأسلوبية في اللغة:

الأسلوبية مصدر صناعي من الأسلوب. وجذر هذه الكلمة الثلاثي هو: سَلَبَ، ولا يعنيني في هذا البحث الخوض في المعاني، التي تندرج تحته، بقدر ما يعنيني منها ما هو متصل بمفهوم الأسلوبية المعاصر، في الاستخدام النقدي الحديث. ولا بأس من الإشارة إلى المعنى الأول، الذي يوحي به الجذر في لغة العرب، ومفاده: انتزاع الشيء وأخذه والاستيلاء عليه [1]وفيه أيضاً معنى ما يكون على الإنسان من اللباس.[2] وتأتي كلمة أسلوب بمعنى السطر من النخيل، " وكل طريق ممتد فهو أسلوب .[3] والأسلوب هو الفنّ، "يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه [4] ومما سبق نلحظ كيف تحمل كلمة أسلوب في ذات استعمالها عند العرب، قديماً، معنى الفنّ، أو ما يكون

(1) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: دار الدعوة: استانبول: ط٢: مادة (سلب).

(٢) لسان العرب المحيط: ابن منظور: دار الجيل: بيروت: ١٩٨٨م: مادة (سلب) .

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

متعلقاً باللغة، من حيث التفنن في إظهارها بسماتٍ تكون أدعى للقبول، وأشد تأثيراً في السامع.

ولا نتعجب في ذلك، إذ عُرف عن العرب فصاحتهم وبلاغتهم وحرصهم على انتقاء الألفاظ والمعاني في كل ما يصدر عنهم وتفننهم في كلامهم واهتمامهم الكبير بشعرهم ،ونثرهم وكأنهم يتفننوا فيه ، بل الدارس للغة العربية يرى مدى تفنن العرب في لغتهم ، وحرصهم الشديد في إخراج شعرهم بالطريقة التي ترسم في ذهن المتلقي الصورة التي يريدها بأوضح وأجمل صورة ولعل ظاهرة عبيد الشعر وغيرها، تعد دليلاً على ذلك. والأكبر منه هو نزول القرآن الكريم متحديًا إياهم بأن يأتوا بمثله، فجاءهم الله تعالى بمعجزة تناسب المقام الذي كانوا عليه من حيث البلاغة واللغة الفصيحة.

تعريف الأسلوبية اصطلاحيًا في النقد الحديث:

عند دراسة علم الأسلوبية ودراسة تعريفها عند النقاد العرب نجد أنهم تأُثروا بالنقاد الغرب فنرى ذلك جليًا في أن كثيرًا من العرب الذين كتبوا في الأسلوبية كانت تعريفاتهم لها مرتبطًا بالنظر إليها من خلال الزاوية الغربية ؛ حيث أنهم نظروا إلى الأسلوبية على أنه علم مستحدث ارتبطت نشأته الحقيقية بالدراسات اللسانية اللغوية التي ظهرت في العصر الحديث، وهي الدراسات اللغوية اللسانية التي ظهرت بوادرها في مطالع القرن التاسع عشر.

يقول إبراهيم عبد الجواد:" والدافع الحقيقي لنشأة الأسلوبية يكمن في التطور الذي لحق الدراسات اللغوية، وتكاد الدراسات العربية تجمع على أن نشأة الأسلوبية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بهذا التطور، وتعده أساس الدراسات الأسلوبية. وإذا آمنا بأن الأسلوبية جاءت وليد التطور الذي لحق العلوم الثلاثة: النقد والبلاغة واللغة، فإننا نؤكد أن نشأة

الأسلوبية لغوية، ولا سيما التطور في مجال الدراسات الأدبية."[1] ويرى أحمد درويش أن كلمة (أسلوبية) قد وصلت إلى معنًى محدد في أوائل القرن العشرين، وهو تحديد مرتبط بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة.

وأرى بعد هذا، أن التسليم بتأثير التطور الذي حصل على الدراسات اللغوية، لا ينفي أن تكون ملامح الدراسات الأسلوبية قد كان لها جذورها في الدراسات العربية، وإن لم تحمل هذا الاسم بل حملت أسماء أخرى غير الأسلوبية.

وقد اتجه باحثون عرب إلى صميم التراث العربي لاستنطاق النصوص التراثية بمفهوم الدراسات الأسلوبية من قبيل الإقرار بالبعد التاريخي لها، "وتأكيد أصالة البحث الأسلوبي عند العرب، والكشف عن صلة الرحم بين الأصالة والحداثة [2]، وأتوا بنتائج إيجابية تأكد استخدام العرب هذا الفن من قديم الزمن ولكن بطرق مختلفة أو مسميات أخرى.

المفهوم العربي : اتجه البحث في مفهوم الأسلوبية في تراث العرب القديم اتجاهين :(3)

الاتجاه لأول: طريقة بحثهم: "الكشف عن النظرية الأسلوبية في كتاب ما، أو مؤلف ما" من التراث القديم.

رواد الاتجاه:

الباحث عبد السلام المسدي دراسته المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال "البيان والتبيين" للجاحظ لعام 1976م .

---

(1) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالله عبدالجواد: وزارة الثقافة: عمان- الأردن: ص٢١- ٢٢ .

(2) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبد الجواد: ص٤٧.

(3) المصدر نفسه .

الباحث نصر حامد أبو زيد دراسته مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية العام ١٩٨٤م .

الباحث شكري محمد عياد دراسته البلاغة العربية وعلم الأسلوب العام ١٩٨٥م .

الاتجاه الثاني:

طريقة بحثهم: "تتبع ما أمكن من التراث؛ للنظر في آرائهم المتفرقة، وتحديد مفهوم الأسلوب عندهم."

رواد الاتجاه:

الباحث محمد الهادي الطرابلسي دراسته مظاهر التفكير الأسلوبي عن العرب العام ١٩٧٨م .

الباحث شكري محمد عياد دراسته مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد العام ١٩٨٠م .

الباحث محمد عبدالمطلب دراسته مفهوم الأسلوب في التراث العام ١٩٨٧م .

ولم يتوقف العرب في البحث في التراث القديم عند الأسماء التي ذكرها إبراهيم عبدالجواد في كتابه[١]، ولعله ذكر هذه الأسماء على سبيل التمثيل لا الحصر. فهناك دراسات أخرى لأعلام كان لهم بصمات واضحة حول الدور العربي القديم في موضوع الأسلوبية، وإن كانت دراسات بعضهم قد احتوت على إشارات منثورة في مؤلفاتهم، ومن هؤلاء :

الباحث مصطفى صادق الرافعي دراسته إعجاز القرآن والبلاغة النبوية العام ١٩٣٧م .

الباحث أمين الخولي دراسته فن القول العام ١٩٤٧ .

الباحث عباس محمود العقاد دراسته مراجعات في الآداب والفنون العام ١٩٦٤م .

الباحث أحمد حسن الزيات دراسته دفاع عن البلاغة العام ١٩٦٨م .

---

(١) كتابه : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث .

فمن يقرأ لمثل هؤلاء الأعلام أو غيرهم من أعلام العرب سوف يجد ويلحظ أنهم قد تعرضوا لمثل قضايا الأسلوبية التي تعرف حاليا ، وذكروا ذلك في مؤلفاتهم وإن لم تظهر واضحة جلية عند بعض الكتاب والنقاد العرب.

وقد كانت أطروحات ودراسات الأدباء والنقاد القدامى حول الأسلوب في معرض حديثهم عن القضايا النقدية والبلاغية وقضية إعجاز القرآن الكريم، ولا يعني هذا أنهم تعرضوا إلى كل القضايا الأسلوبية " إنما هي معالم واضحة، لها دور... في تاريخ الدراسات الأسلوبية".[1]

بعض من آراء العرب في الأسلوبية :

الأسلوبية عند القدامى:

إن المفهوم الذي استقر عليه مصطلح الأسلوبية وبهذه الصيغة اللفظية، " لم يظهر إلا في بداية القرن العشرين، مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة، التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علمًا يدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي، أو التحليل النفسي، أو الاجتماعي، تبعاً لاتجاه هذه المدرسة أو تلك".[٢]

حيث أنه كما ذكرنا سابقًا أنهم لم يستخدموا هذه اللفظة " الأسلوبية " بالمعنى الذي يتداول حاليا بل إنهم تفننوا في الدراسات الأسلوبية بطرق مختلفة ولكنهم لم يستخدموا هذه الصيغة اللفظية أو هذا المصطلح رغم أنهم استخدموا كل ما يدل على علم الأسلوبية .

ولا يمنع ذلك أن أسجل ما توصلت إليه الدراسات العربية حول الأسلوب عند القدماء. حيث أشارت إلى مجموعة من القضايا فيما يتعلق بالأسلوب:

---

(1) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص٢٤ وما بعدها.

(٢) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص٣٩. وانظر: الأسلوب والأسلوبية، مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه: ص٦١ .

لم يستعمل مصطلح (أسلوب) في كتاب " البيان والتبيين" للجاحظ، واستعمل مرة واحدة عند عبد القاهر الجرجاني، وفي عديد من المرات عند حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء".[١]

استقرّت كلمة الأسلوب في صيغتها الاسمية في " لسان العرب" لابن منظور، وفي فصل "صناعة الشعر" من مقدمة ابن خلدون، وتحددت للأسلوب في هذين المصدرين بعض معالمه اللغوية والاصطلاحية المهمة . [2]

نظر العرب إلى الأسلوب من زاوية المظهر الذي يخرج فيه، أو الذي يتوهم خروجه فيه، كذلك. فعدوه: الضرب من القول، أو الطريقة، أو المنوال، أو القالب، وهذه النظرة نجدها مثلاً عند عبد القاهر الجرجاني وابن خلدون .[3]

نظر بعض الأدباء بين تعدد الأساليب والافتنان فيها وطرق العرب في أداء المعنى، بحيث يكون لكل مقام مقال، فتعدد الأساليب راجع إلى: اختلاف الموقف- وطبيعة الموضوع- ومقدرة المتكلم وفنيته ".[4]

لم يَثبُت النقادُ القدامى على اتجاه واحد في تحديد معنى الأسلوب. فقد ربطوه مرة بالناحية المعنوية في التأليفات، وربطوه مرة ثانية بطبيعة الجنس الأدبي، ومرة ثالثة بالفصاحة

(١) الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق: ص٢٣، يوسف أبو العدوس:. وانظر: إبراهيم عبدالجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: ص٤٨ وما بعدها. وانظر: محمد الهادي الطرابلسي: قضايا الأدب العربي، مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية: الجامعة التونسية: ١٩٧٨م: ص٢٦٢.

2() الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق : يوسف أبو العدوس: ص٢٣.

(3) المصدر نفسه: ص ٢٣.

(4) المصدر نفسه: ص٢٣.

والبلاغة .[1] تحدث النقاد العرب القدامى عن الانحرافات السياقية، مثل: التقديم والتأخير والحذف والتكرار، والالتفات .[2]

فكل ذلك يؤكد استخدام النقاد القدامى للأسلوب فنرى ذلك جليا في دراساتهم، فبالرغم من عدم وجود مصطلح الأسلوب بصيغته هذه لدى الجاحظ، إلا أن نظريته القائمة على مبدأ اختيار اللفظ، قد توافقت مع طروحات المحدثين من الغربيين حول الأسلوبية. فهي تتوافق مع ما يسميه الأسلوبيون: "الانتظام النوعي"، وهو ما يعبر عنه الجاحظ بقوله: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك .[3] ومن كل ما سبق نلحظ أن العرب قديمًا قد عرفوا الأسلوبية معرفة جيدة وأن كانوا لم يعرفوها أو يصفوها ما وصف المحدثين وإني أؤكد في هذه الرسالة مدى استخدام القدامى للأسلوبية وتفننهم في هذا العلم على أسس واضحة في كتبهم ومؤلفاتهم التي وصلت إلينا.

الأسلوبية عند المحدثين:

سار النقاد العرب المحدثون في المنهج الأسلوبي، وقد تعرفوا على الأسلوبية الغربية، فكان توجههم نحو القديم محاولة لاستكشاف معاني الأسلوبية الحديثة في الطرح القديم، وهذا نجده في كثير من تعبيرات النقاد المحدثين، حين يشيرون إلى صورة أسلوبية اصطلاحية في القديم، فإنهم يقولون على سبيل المثال: "وهذه النظرية تجد ما يقابلها في أسس النظرية الأسلوبية الحديثة ."[4] وأحسب أن هذا الطرح يشير إلى أن هؤلاء النقاد،

---

(1) الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق : يوسف أبو العدوس: ص٢٤.

(2) المصدر نفسه

(3) البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق: عبدالسلام هارون: مصر: ط٣: ١٩٦٨م: ج١: ص١٤.

(4) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: صـ ٦٤ .

إنما كان سعيهم في سبيل إثبات أصالة الدرس الأسلوبي العربي، وليس مجرد أن يكون درساً تابعاً للغرب، أو خالياً من المضامين النقدية .

أحمد الشايب:

عرف الشايب الأسلوب تعريفات مختلفة، دارت حول محاور ثلاثة: فن الكلام، وطريقة الكتابة، والصورة اللفظية التي نعبر بها عن المعاني [1] ويلاحظ أن تعريفه جمع بين الفن والطريقة والصورة، وهي عناصر تشرك في تفاعلها عناصر ثلاثة، هي: المنشئ للأدب، والمتلقي له، والأدب نفسه .[2]

عبد السلام المسدي:

عرّف الأسلوبية انطلاقاً من محاور ثلاثة: المخاطِب(صاحب الأدب)، والمخاطَب(متلقي الأدب)،
والخطاب(النص الأدبي). وقد كان تعريفه منطلقاً من تعريفات الغربيين للأسلوب. فقد كانت تعريفاته للأسلوبية محالةً إلى مصادرها الغربية ورجالها الذين عرّفوها. فهو بذلك مرتبط بتعريفات الغرب وينطلق في ذلك انطلاقاً لسانيًا وأدبيًا كمنطلقه لتعريف الأسلوبية، حيث جاء تعريفها لديه بأنها: "علم تحليلي تجريدي، يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك الألسني ذا مفارقات عمودية.[3] وكما يُلاحَظ على الصيغة التي صاغ بها المسدي تعريفه، فإنها صعبة الفهم

---

(1) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص٢٦. وانظر كتاب : الأسلوب، لأحمد الشايب .

(2) سيأتي لاحقاً الحديث عن هذه العناصر الثلاثة، عند تناول مفهوم الأسلوبية الغربية. وهذه العناصر تركزت عليها الدراسات الأسلوبية الحديثة، وقد كان هناك شبه توافق بين الدارسين العرب عليها، مثل: المسدي، وشكري عياد. انظر: إبراهيم عبدالجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: ص٤٠.

(3) الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي: نحو بديل ألسني في نقد الأدب: الدار العربية للكتاب: ليبيا– تونس: ١٩٧٧م : ص٣٣ .

تحتاج بحث ، فإنها مليئة بالزخم المعرفي والعمق الفلسفي، ما يستوجب البحث عن معجم يفسر كل كلمة في التعريف.

منذر عياشي:

الأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها- أيضاً- علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس؛ ولذا، كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات ".[1] وبالرغم من الملاحظة الظاهرة على تعريف العياشي للأسلوب مركزاً على عنصر الخطاب واهتمامه به في التعريف، إلا أنه لا ينفي تعدد مستويات الأسلوبية.

وإنني إذ أكتفي بهذه الرؤى العربية، لا يفوتني أن أشير إلى أن الرواد العرب في تعريفاتهم كانوا يقتربون من الفكر الغربي، بصورة توحي بتبنيه، ولا يعيبهم هذا في شيء، بل كانت ثقافتهم واطلاعهم على ما استجد في الساحة الغربية على مستوى الدراسات اللغوية، واللسانية، والصوتية، والنقدية، حافزاً إلى العودة إلى التراث العربي الأصيل، انطلاقاً من الحس المرهف، الذي تلمّس في هذا الوافد الجديد، روح الآباء والأجداد، الذين أرسوا دعائم علوم اللغة، والبلاغة، وتفننهم في علم الأسلوبية بدون أن يصفوها أو أن يوضحوها وإن لم يسجلها التاريخ المعاصر باسمهم. فكان الجهد في البحث في كتب التراث مجدياً، حين أثبتت الدراسات وجود ملامح الدرس الأسلوبي عند النقاد العرب القدامى.

والموضوعية العلمية تستوجب أن يعطى كل ذي حق حقه؛ وعليه فلا بد من ذكر الجهود الغربية في مجال علم الأسلوب، أو الأسلوبية، فإننا لا ننكر فضلهم في علم الأسلوبية والتاريخ لا ينكر تقدهم في الأبحاث الأسلوبية، وقد كانت مؤلفاتهم، ومنشوراتهم رافداً

(1) الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي: مركز الإنماء الحضاري: ٢٠٠٢م: ص٢٧.

ومرجعاً من مراجع الدراسات الأسلوبية التي نهل منها أغلب أدباء العصر الحديث من العرب.

المفهوم الغربي:

يأتي مفهوم الأسلوبية عند الغرب ومعه صراع إشكالية التعريف؛ وذلك بسبب "مدى رحابة الميادين التي صارت هذه الكلمة تطلق عليها ".[1] حيث قدمت إحدى النشرات "الببليوغرافية" حول الدراسات الأسلوبية في ميدان اللغات الرومانية ما يقرب من (ألف وخمسمئة) عنوان.[٢] مما جعل البحث في مفهوم الأسلوبية عندهم به شيء من الصعوبة في البحث والتحري .

ويضاف إلى أسباب صعوبة تحديد مفهوم الأسلوب عند الغرب، أن الباحثين قدموا هم أنفسهم تعريفاتهم للأسلوب بصورة متباينة، تجاوزت الثلاثين تعريفاً، في بعض الأحيان.[3] بالإضافة إلى كون بعض الدراسات الغربية، لا تكشف بطبيعتها عن مفهوم الأسلوب، بل يُترَك ذلك للدارس ليستخلصه من خلال جملة من المعطيات، التي يشتمل عليها المنهج المتبع في تحليل الخطاب الأدبي.

وإن كانت الأسلوبية في لفظها الأجنبي هي "Style" ، وهي مشتقة من الأصل اللاتيني الذي يعني : القلم [4]، فإن طبيعة الفلسفة الغربية هي التي ساهمت في نشوء التباين في الموقف التعريفي للأسلوبية.

---

(1) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص ٣٥ .

(٢)اتجاهات البحث الأسلوبي: دراسات أسلوبية: اختيار وترجمة وإضافة، شكري عياد دار العلوم للطباعة والنشر: الرياض: ١٩٨٥م: ص٨٤

(3) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته: صلاح فضل: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢: ١٩٨٥م: ص٧ .

(4) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص ٣٥ .

فقد ورد في الموسوعة الفرنسية "Encyclopoedia Universalis" أنه: " يمكن استخلاص معنيين لكلمة أسلوب، ووظيفتين: فمرة تشير هذه الكلمة إلى نظام الوسائل والقواعد المعمول بها، أو المخترعة، والتي تستخدم في مؤلف من المؤلفات. وتحدد– مرة أخرى– خصوصياته، وسمة مميزة، فامتلاك الأسلوب فضيلة". مما جعل البحث في ذلك صعبًا بعض الشيء ،وأضافت الموسوعة: "إننا إذا أولينا الاهتمام بالنظام وقدمناه على الإنتاج، فإننا نعطي الأسلوب تعريفًا جماعيًا، ونستعمله في عمل تصنيفي، ونجعل منه أداة من أدوات التعميم. أما إذا كان الأمر على العكس من ذلك، وأولينا انتهاك النظام، والتجديد، والقراءة اهتمامنا، فإننا نعرف الأسلوب، حينئذٍ، تعريفًا فرديًا، ونسند إليه وظيفة فردية. ولكن، كل هذا يقودنا إلى التفكير فيه، كذلك، على أنه سمة مميزة ونظام بآنٍ.[1] ومما طرحته الموسوعة الفرنسية، ينبغي التفريق إذاً بين أمرين: الأول علم الأسلوب، والثاني الأسلوبية. حيث جعلتهما علمين منفصلين لكل تعريفه المنفصل ، وهذا الطرح دفعه مدى عمق الإشكالية التعريفية لمفهوم الأسلوب، حتى تعمقت النظرة فيه، ما أدى إلى تحوله من مجرد جزء يعمل لحساب علوم أخرى، إلى أن بات علماً له نظرية ابيستيميولوجية تحدد أصوله العلمية، ونظريته المعرفية.

ويمكن اختصار التفريق بين الأمرين من خلال أن علم الأسلوب يبحث في الأصول المتبعة في الدراسات الأسلوبية، بينما تمثل الأسلوبية المنهج التطبيقي الذي يسير وفق ما أصله علم الأسلوب [2] وهذا يشابه تماماً ما يعرف في الدراسات الشرعية، إذ يوجد علم أصول الفقه، وعلم الفقه.

(1) الأسلوبية وتحليل الخطاب: منذر عياشي: ص ٣١ .

(2) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص٣٧ وما بعدها .

وقد أحس شارل بالي باحتمال الخلط بين المفهومين، ففرق بينهما على النحو الآتي :[1]

فأما الأسلوب: " تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي، إلى حيز الموجود اللغوي". أي: الأسلوب هو الاستعمال ذاته. وأما الأسلوبية: فتهدف إلى "إقامة ثبت لجملة من الطاقات التعبيرية الموجودة في اللغة بقوة ".[٢]

وهذا التفريق بين المصطلحات، هو كما ذكرت، جاء نتيجة الصراع على تعريفات هذا العلم الجديد، في استقلاله كعلم له أركانه وأصوله، القديم في تطبيقاته وملامحه في الدرس العربي القديم.

الزوايا التي نظر منها الغرب إلى المفهوم:

تعددت الجهات التي نظر منها الغرب إلى مفهوم الأسلوب. وقد أجمل عبد السلام المسدي هذه الجهات، وجعلها تدور في فلك ثلاثة محاور(3):

المحور الأول: تعريف الأسلوب من خلال صاحبه:

دور الأسلوبية في هذا المفهوم:

"الأسلوبية تدرس هنا، في التحليل الأسلوبي، معتقد الكاتب، ونظرته إلى القضايا، وانفعالاته. وهذا التصور هو الأسبق والأوسع انتشارًا."[٤]

المفاهيم المنبثقة من هذه الزاوية:

المفهوم الأول: الأسلوب هو" قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه".

---

(1) بالي: " لساني سويسري (١٨٦٥– ١٩٤٧) اختص باللغة السنسكريتية واليونانية، وتتلمذ على يد سوسير. يعد رائد الأسلوبية التعبيرية، وهو من أرسى قواعد علم الأسلوب الحديث الغربي. من مؤلفاته: مصنف الأسلوبية الفرنسية. اللغة والحياة." انظر: عبدالسلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: ص١٨٨.

(٢) الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب: عبدالسلام المسدي: ص٨٥.

(3) انظر : الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب: عبدالسلام المسدي ص٢٩ وما بعدها.

(٤) الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان علي رضا محمد النحوي: دار النحوي للنشر والتوزيع: ٢٠٠٣م: ص٦٥.

المفهوم الثاني: " الأسلوب هو الإنسان عينه".

المفهوم الثالث: الأسلوب هو:" اختيار أو انتقاء يقوم به المخاطِب لسمات لغوية معينة، تفرض التعبير عن موقف معين ".[١]

أهمية المفهوم:

" هذا المنحنى في تحديد ماهية الأسلوب هو بمثابة المعيار الدلالي لمحتوى الرسال المبلغة"وقد علل أحمد الشايب هذا المعيار حيث عدّ أنّ " الصورة اللفظية التي هي أول ما يُلْقى من الكلام، لا يمكن أن تحيا مستقلةً، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي، انتظم وتألّف في نفس الكاتب، أو المتكلم؛ فكان بذلك أسلوباً معنوياً، ثم تكون التأليف اللفظي على مثاله، وصار ثوبه الذي لبسه، أو جسمَه، إذا كان المعنى هو الروح" . [2]

رواد هذا المفهوم الغربيون:

كانت هذه النظرة وليدة نظرية "بيفون، "Buffon [٣]، التي تنص على أنّ:" المعاني وحدها هي المجسمة لجوهر الأسلوب. فما الأسلوب سوى ما نضفي على أفكارنا من نسق وحركة".[4] وأكّد فلوبير[5] هذا التوجه، منطلقاً من نظرية بيفون. ونرى هذا التصور عند

---

(١) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص٤١ .

(2) الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب: ط ٦ : ١٩٦٦م: ص٤٠

(٣) بيفون: "عالم في الطبيعيات، وأديب في الوقت نفسه. عاش بين سنتي ١٧٠٧-١٧٨٨. اهتم كثيراً بقيمة اللغة التي تكتب بها الآثار بعامة...من أبرز مؤلفاته: مقالات في الأسلوب" انظر: عبدالسلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: دار الكتاب الجديدة: بيروت: ط٥: ٢٠٠٦: ص١٩٠.

(4) الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب:عبدالسلام المسدي: ص٦١.

(5) فلوبير: "كاتب فرنسي(١٨٢١-١٨٨٠) حاول وصف النفس البشرية في تقلباتها. ونظريته في الكتابة تتلخص في اعتباره أن العبارة كلما قاربت الفكرة التصقت بها، وكلما التصقت بها ازدادت جمالاً. من أبرز مؤلفاته: " مدام بوفاري(١٨٥٧)" والتربية العاطفية(١٨٦٩)". انظر: عبدالسلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: ص١٩٨.

بروست [1] ومونان [2] .وكانت نظرية ستاروبنسكي، حيث حدد ماهية الأسلوب بكونه اعتدالًا وتوازنًا بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل. ولقد ارتبط الكثير من النقاد والأدباء العرب بهذا المفهوم وسوف أورد بعض منهم وأذكر بعض من دراستهم التي ارتبطت بهذا المفهوم.

الدراسات العربية التي سارت على هذا المفهوم:

دراسة يوسف اليوسف، في كتابه: "مقالات في الشعر الجاهلي."

فقد انطلق في قراءته لمعلقات الشعر الجاهلي من ثنائية "الصورة والأسلوب"، وانتهى إلى " نقض ما درج عليه كثير من النقاد، من أن الصورة إقحامٌ خارجي على الشعور، يمكن أن يظل قائمًا داخله ومستقلًا عنه معًا، أو يمكن أن يختفي بتواجده فيه، حتى وإن ذاب داخل أليافه وخلاياه"[3]. ويقرر اليوسف في النهاية أن:" الصورة كفلذةٍ شعورية تغدو مرآةً تقتنص فيها الحاجة التي يتمثلها الشعور، إلى حد أنها تُكوِّنُهُ، وتحليلها إذًا، أسلوب لغرز الذات واستبارها؛ لأن الشاعر يفض ذاته عبر الصورة".[4]

---

(1) بروست: "أديب فرنسي(١٨٧١-١٩٢٢) تعاطى الشعر أولاً فنشر:" الملذات والأيام(١٨٩٦م)، وحلّت به نكبات صحية وعائلية، فانطوى على ذاته ولاذ بالأدب، فكتب:" في البحث عن الزمن الضائع" وهي محاولة ما ورائية عبر إحياء التجربة الإنشائية بغية إدراك جوهر الواقع المدفون في خبايا اللاوعي". انظر: عبدالسلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: ص١٨٩.

(2) مونان: "فرنسي ولد سنة ١٩١٠م، وهو لساني ناقد. تعد مؤلفاته مداخل إلى قضايا اللسانيات العامة والمختصة. ومن تلك المؤلفات: "المشاكل النظرية في الترجمة(١٩٦٣م) " ," مفاتيح اللسانيات(١٩٦٨م)"، "مفاتيح علم الدلالات(١٩٧٢م)" ". انظر: عبدالسلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية: ص٢٠٢-٢٠٣

(3) الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب: عبدالسلام المسدي: ص٦٧

(4) مقالات في الشعر الجاهلي: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: يوسف اليوسف: دمشق: ١٩٧٥م: ص١٩٥-١٩٦. وانظر: الأسلوب والأسلوبية، لأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب: عبدالسلام المسدي: ص٦٧ .

دراسة لطفي عبد البديع، في كتابه: "التركيب اللغوي للأدب."

حيث قرر " بعد تحليل نوعية العمل الأسلوبي، أن الخصائص الأسلوبية في الخطاب ليست صيغًا تاليةً يؤتى بها للتزيين والتحسين، وإنما هي جوهرية، لا تتحقق المادة الإنشائية إلا بها . فالأسلوب، أو ما يسميه بِـ "اللغة الشعرية" ليس من قبيل المعاني الثانوية ، التي تطرأ على المعاني الأُوَل ، ولا من قبيل " الأفكار، التي تهبط على الألفاظ كما تهبط الروح إلى الجسد". [1]

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل هناك دراسات عربية حديثة نهلت من هذا المفهوم، وجاءت في اتجاهها متوافقة مع الطرح الغربي في هذا المضمار. فأذكر منها على سبيل المثال، لا الحصر، دراسة أحمد الشايب " الأسلوب" التي تعد أول دراسة عربية في الأسلوب . كما وردت إشارات في كتب مثل: " في فلسفة النقد" لزكي نجيب محمود، و" اللغة والإبداع" لشكري عياد، و غيرها.[٢]

المحور الثاني: تعريف الأسلوب من خلال متلقيه :

دور الأسلوبية في هذا المفهوم:

تبحث الأسلوبية في هذا المضمار عن القوة الناتجة من الأسلوب، حيث تشكل ضاغطًا على المتلقي فتحرّك نوازعه.[٣] أي: البحث عن المواطن التي تؤثر في المتلقي، وإبراز التأثيرات المحتملة فيه.

مفهوم الأسلوب من هذه الزاوية:

(1) الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب: عبدالسلام المسدي: ص٦٨. وانظر: التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والأستطيقا: لطفي عبد البديع: القاهرة: ١٩٧٠م: ص٨٩ .

(٢) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص١٠١، وما بعدها.

(٣) الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان علي رضا محمد النحوي: ص ٦٦.

ينظر إلى الأسلوب من هذه الزاوية على أنه قوة ضاغطة على المتلقي، وتحلل هذه القوة إلى جملة من العناصر، أبرزها فكرة التأثير، وفكرة الإقناع، وفكرة الإمتاع.[1]

أهمية المفهوم: يظهر هذا المفهوم دورًا كبيرًا للمتلقي كركيزة من ركائز عملية التوصيل للإبداع الفني. فأصبح المتلقي ذا رتبة رفيعة المستوى توازي رتبة المبدع للنص الأدبي.[٢]

الرواد الغربيون لهذا المفهوم :

كان من أصحاب هذا الرأي ريفاتير، وهو أبرز رواد هذا الاتجاه، وأندريه جيد، وستاندال ، ورومان جاكبسون.[3]

المحور الثالث: تعريف الأسلوب من خلال النص:

المفاهيم المنبثقة من هذا المحور:

المفهوم الأول: " الأسلوب هو الاستعمال ذاته".

المفهوم الثاني: الأسلوب توافق عمليتين: اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة، ثم تركيبه لها تركيبًا تقتضي بعضه قوانين النحو، وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال. أي: " تطابق لجدول الاختيار على جدول التأليف".

---

(1)الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص٤٢. وانظر: الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب: عبدالسلام المسدي: ص ٧٧.

(٢)الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص٤١-٤٢

(3) أندريه جيد: " أديب فرنسي (١٨٦٩-١٩٥١) عالج في عدة مؤلفات قضايا الجنس والأخلاق وقضايا الفكر تجاه وضع الكائن البشري. من مؤلفاته: " غذاء الأرض-١٨٩٥ .

ستاندال: "أديب فرنسي (١٧٨٣-١٨٤٢) تغنّى بحساسية الجمال، وصور عبثية المواضعات الاجتماعية". انظر: الأسلوب والأسلوبية: عبدالسلام المسدي: ص١٩٥ .

جاكبسون: " ولد في موسكو سنة ١٨٩٦. واهتم من سنه الأولى باللغة واللهجات، والفلولكلور. لديه منطلقات في علاقة الدراسة الآنية بالدراسة الزمانية، كما بحث في لغة الأطفال، وفي عاهات الكلام. من أبرز مصنفاته: (محاولات في اللسانيات العامة-١٩٧٣م)" انظر: الأسلوب والأسلوبية: عبدالسلام المسدي: ص١٩٢ .

المفهوم الثالث: " الأسلوب انحراف عن نموذج آخر من القول، ينظر إليه على أنه نمط معياري".[١]

الأساس النظري الذي اعتمد عليه هذا المفهوم:

"ينطلق هذا المذهب من مفهوم اللغة عند سوسير. فسوسير قسم اللغة إلى قسمين: اللغة في حالة السكون، قبل الاستخدام، واللغة في حالة الاستخدام. وفي حالة الاستخدام تنقسم اللغة إلى قسمين: الخطاب العادي، أو النفعي، والخطاب الأدبي، الذي يحمل الأسلوب".[٢] وهذا الطرح الذي قدمه سوسير، من تفريق بين اللغة كنظام علم، واللغة كأداة مستعملة بين الأفراد، أدى إلى القول بأن اختلاف السمات الأسلوبية إنما يرجع إلى اختلاف استعمال الأفراد للغة.[3]

دور الأسلوبية في هذا المفهوم:

"الأسلوبية تدرس هنا، العلاقة بين الوحدات المختلفة للنص: النحوية، والصرفية، والمعجمية، التي تشكل البنية العامة للنص".[4]

رواد هذا الاتجاه من الغربيين: بما أن هذا الاتجاه قد حصر اهتمامه بالنص، وعده معزولًا كل العزل عن الكاتب، فقد حدد غايته في أن يكون اتجاهًا وصفيًا. فذهب في طريقين: الطريق الشكلي، الذي يحصر النص في لغة، ولا يفصل بين الشكل والمضمون. وهؤلاء هم من يطلق عليهم الشكليون.[5]

(١الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث:) إبراهيم عبدالجواد: ص٤٥.

(٢) الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان علي رضا محمد النحوي: ص٦٦.

(3) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص٢٤.

(4) الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان علي رضا محمد النحوي: ص٦٦.

(5) المصدر نفسه: ص66.

ورائد المدرسة الشكلية هو: رومان جاكبسون، الذي وضع نظريته اللسانية، التي حدد فيها ست وظائف للكلام منطلقاً من نظرية الاتصال، أو الإخبار، ومن جهاز التخاطب الذي يتألف من ستة عناصر، يؤدي كل منها وظيفته:

المرسل وظيفته: التعبير المرسَل إليه وظيفته: الفهم السياق وظيفته: المرجع الوسيلة وظيفتها: النقل الرمز وظيفته: تأكيد التطابق بين طرفي التخاطب الرسالة وظيفتها: الإنشاء والشعر

أما الطريق الثاني فهو الطريق البنيوي، الذي حمل اسم الأسلوبية البنيوية، التي تنطلق من إيمان بأنّ الأسلوب: " تضمين (Connotaion) بمعنى: أن كل سمة لغوية، تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية معينة، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص، وهذه القيمة قابلة للتغيير بتغير البيئة التي توجد فيها .[1]

ولعل رولان بارت[2] هو الرائد البنيوي النقدي، غير أنه ليس الوحيد في هذ المضمار، حيث وجدت دراسات في الأسلوبية البنيوية متعددة منها: كتاب ريفاتير" مقال في الأسلوبية البنيوية. "

وقد ترجم عبدالسلام المسدي منتخبات من تعريف الأسلوب تضمنت جملة من التعريفات كان من بينها ما يلتقي مع الاتجاه الأسلوبي البنيوي في كتابه: "الأسلوبية والنقد الأدبي، منتخبات في تعريفالأسلوب" حيث عرفها عند كثيرين منهم: جورج مونان، وشبيتزر، وستاروبنسكي، وغيرهم .[3]

دراسات عربية في هذا المفهوم:

(1) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص١٨٠.

(2) بارت: " فرنسي، ولد سنة ١٩١٥م، اهتم بالنقد الأدبي، وعمل على إرساء قواعد نقد حديث. اهتم بعلم النص، وعلم العلامات. من مؤلفاته: الدرجة الصفر في الكتابة(١٩٥٣) فصول في علم العلامات(١٩٦٤) ولذة النص(١٩٧٣)." انظر: الأسلوب والأسلوبية: عبدالسلام المسدي: ص١٨٧.

(3) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالجواد: ص١٨٣.

دراسة عدنان حسين قاسم " الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي : حيث تحدث في كتابه هذا عن نشأة النقد الأسلوبي البنيوي وتطوره مع تطبيقات على نماذج من الشعر العربي .[1]

دراسة كمال أبو ديب " الرؤى المقنعة". من نشر الهيئة المصرية العامة(١٩٨٦م) .

دراسة فؤاد منصور" النقد البنيوي الحديث". من نشر دار الجيل، بيروت(١٩٨٥م).

ويضاف إلى جملة هذه الدراسات، ما قدمه عبدالسلام المسدي، وأحمد درويش، وصلاح فضل، وكتبهم على التوالي: "الأسلوب والأسلوبية"، "الأسلوب والأسلوبية"، "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته". حيث قدمت في هذه الدراسات ملامح الأسلوبية البنيوية، مع إبراز روادها وطرق دراستها .[2]

نتائج البحث :

فمن الملاحظ على ما قدم من تعريفات لمفهوم الأسلوب، والأسلوبية، أنه من المفاهيم الإشكالية، التي لم تقف عند نقطة محددة، يتفق على كونها حد علم الأسلوب. حتى كان من الغربيين من أطلق فيها عبارة تصف المدى الذي تشكل منه ذلك الإشكال. حيث قال ريتشارد برافو: " إن الأسلوبية محيرة، مراوغة، كثيرة الغموض والمزالق، سريعة الإفلات من اليد.[3]

ومن الملاحظ أيضاً، أن ذلك لم يكن ليشكل عائقًا أمام الدراسين. بل، انطلقت أقلامهم تبحث في الأسلوبية ، تأصيلًا، وتنظيرًا، وتطبيقًا على نماذج من الأدب. وقد اشترك العرب والغرب في هذه الخاصية. وإن كان الدور الغربي هو الذي حفز مثل هذا النوع من الدراسات، بل وكانت حصيلة نظرياتهم اللغوية وما توصلوا إليه في مضمار اللسانيات، كان لذلك أثره الفاعل في توجيه الدراسات الأسلوبية، التي تنوعت بحسب الاتجاهات الغربية، وروادها.

---

(1) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: انظر: إبراهيم عبدالجواد: ص١٧٦ وما بعدها .

(2)المصدر نفسه .

(3) الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان علي رضا محمد النحوي: ص٧٤.

المصادر والمراجع

- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: دار الدعوة: استانبول: ط٢: مادة (سلب).
- لسان العرب المحيط: ابن منظور: دار الجيل: بيروت: ١٩٨٨م: مادة (سلب) .
- الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبدالله عبدالجواد: وزارة الثقافة: عمان– الأردن: ص٢١– ٢٢ .
- الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس: ص٣٩.
- قضايا الأدب العربي، مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب: محمد الهادي الطرابلسي: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية: الجامعة التونسية: ١٩٧٨م: ص٢٦٢.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق: عبدالسلام هارون: مصر: ط٣: ١٩٦٨م: ج١: ص١٤.
- الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي: نحو بديل ألسني في نقد الأدب: الدار العربية للكتاب: ليبيا– تونس: ١٩٧٧م : ص٣٣ .
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي: مركز الإنماء الحضاري: ٢٠٠٢م: ص٢٧.
- اتجاهات البحث الأسلوبي: دراسات أسلوبية: اختيار وترجمة وإضافة، شكري عياد دار العلوم للطباعة والنشر: الرياض: ١٩٨٥م: ص٨٤
- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته: صلاح فضل: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢: ١٩٨٥م: ص٧ .
- الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان علي رضا محمد النحوي: دار النحوي للنشر والتوزيع: ٢٠٠٣م: ص٦٥.
- الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب: ط ٦ : ١٩٦٦م: ص ٤٠
- مقالات في الشعر الجاهلي: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: يوسف اليوسف: دمشق: ١٩٧٥م: ص١٩٥–١٩٦.

Poetry of Abdulmajeed Farghaly: A Stylistic Linguistic Study

Abstract

Through this research, I tackled and provided the definition of stylistics through research in dictionaries and lexicons. This is in addition to scrutinizing approaches of stylistics in the old and modern Arabic heritage, and the pioneers of each approach. After that, the researcher investigated and reviewed the issues that belongs to stylistics in western culture, and the Arabic studies that are related to this approach. Finally, I concluded this research with some results using a lot of references and resources within this research.

Keywords: Concept of stylistics for old and contemporary linguists of Arabic Language